

2

قصص المبشرون بالجنة

الحاكم
العادل

سلوى العناني



الحاكم العادل

(عمر بن الخطاب)

مر أمير المؤمنين يوماً بمجموعة من الصبيان يتصايحون
وهم يجمعون ثمار البلح المتساقطة من عراجينها على
الأرض .. وما إن رأوه حتى جروا جميعاً إلا واحداً استمر في
جمع ما تركه رفاقه وهربوا ..

ويقرب أمير المؤمنين من الفتى مبتسماً فيأخذه الفتى
قائلاً :

- هذا يا أمير المؤمنين بلح مما ألقت الریح .. ويطلب منه
أمير المؤمنين أن يرى البلح بنفسه ليتأكد من صدق قوله ..
ويفحصه ، ثم يقول للفتى : صدقت .

ويفرح الفتى بقول أمير المؤمنين ، ثم يقول له :

- "هل ترى هؤلاء الغلمان الواقفين هناك ؟

إنهم ينتظرون انصرافك ليهجموا على فيأخذوا ما
جمعت من البلح .. ويضحك أمير المؤمنين ، وهو يربت

على كتب الفتن ، ويأخذ بيده حتى باب بيته ، ثم يتركه
وينصرف ..

هذا هو أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب بن نفيل بن
عبد العزى) ...

نعم (عمر بن الخطاب) الذى اتسعت دولة الإسلام فى
عمله حتى حدود الهند .. والذى امتلأت خزائن بيته المال
فى أثناء حكمه .. والذى ارتفعت راية الإسلام عالية فى
عصره ، وتضاعف عند المسلمين .. لكنه كان رجلاً بسيطاً
يؤمن بأن حب الناس له ورضاءهم عنه هو أعظم ما يظفر
به فى الحياة ..

لم يكن (عمر بن الخطاب) من السابقين إلى الإسلام ..
بل إنه أمضى ست سنوات من عمره ومنذ بدء الدعوة
الإسلامية يترغم جبهة محاربة (محمد) وصحبه ..

خرج يوماً من بيته شامراً سيفه عازماً على المضى إلى
(دار الأرقم) حيث النبي وصحابته .. لكن الله أرسل إليه
من يؤقفه فى طريقه ليسأله عن وجهته .. وما إن علم
بعزمه على قتل النبي حتى بلّغه قائلاً :

- لبس السعى سعيك ، ولبس المشى عمشك ..

ثم أخبره أن دينَ (محمد) قد دخل دار شقيقته فاطمة التي
اعتنقت الإسلام هي وزوجها سعيدُ بنُ زيد .. ومعهم
خادمهم خبابُ بنُ الأرت ...

ويتضاعف اشتعل النار في قلبِ (ابنِ الخطاب) ويغير
طريقه .. فبدلاً من (دارِ الأرقم) اتجه إلى دار (سعيد بن
زيد) ..

عرفت (فاطمة) زوجها شخصيةً الطارق .. فليس هناك
من يلقى البابَ بهذا العنفِ إلا (عمر) .. فسارعوا بإخفائه
(الصحيفة) التي كان يقرآن ما بها من قرآن ..

ويواجه عمر شقيقته وزوجها بما سمع ...

فبملاذا يحيب الرجل المسلم (سعيد بن زيد) ؟ ..

قل : "أرايت يا عمر إن كان الحقُّ في غير دينك؟" .

وتهبُّ رياحُ الثورة العارمة ، وينهال (عمر) ضرباً على
الرجلِ المسلمِ وزوجتيه ...

هنا تألقت روحُ الإسلام في نفس (فاطمة) ووقفت
تواجهُ أخطاها رغم ما تعرفهُ عنه من قوةٍ وبطش ..

- يا عدو الله .. أتضربني على إيماني بالله الأحد ؟
إلا ما كنت فاعلا .. فافعل .. فإني أشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله ..

وتزداد ثورة (عمر) ويعد يله يريد أن ينتزع الصحيفة من
أخته .. لكنها تتمسكُ بها رافضة .. وتدعوه للاغتسل
والتطهر قبل أن يلمسها ..

ويمتثل (عمر) ويذهب ليغتسل ، ثم يعود ليقرأ ما في
الصحيفة ...

بسم الله الرحمن الرحيم (طه) * مَا أَرْزَاكَ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ
لِتَشْفَى * إِلَّا لَذِكْرَ لِمَنْ يُخْشَى * لَنَزِيلًا مُّمِّنٌ خَلَقَ الْأَرْضَ
وَالسَّمَاوَاتِ الْفُلَا * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ
تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (طه : 1- 8)

ويشتق صوت (عمر) بالدموع وهو يقول : - " لا ينبغي
لمن هذه آياته ، أن يكون له شريك يُعبد معه .. دلوني على
محمد "

وفى (دار الأرقم) وأمام صحابة رسول الله وكانوا وقتها
تسعة وخمسين رجلاً ... نطق عمر بن الخطاب
بالشهادة ...

وسط الفرحة الغامرة التي عمت المسلمين ومعهم نبيهم
- توجه (عمر) بالسؤال إلى الرسول عليه السلام ..
- "السنا على الحق فى عاتنا وعيانا؟؟"

وعجبه الرسول: "بلى يا عمر ، والذى نفسى بيده إنكم
لعلى الحق إن متم وإن حييتم" ..

قل (عمر) فى حماس: "ففيهم الاختصاء إذن .. ؟ والذى
بعثك بالحق لتخرجن وتخرجن معك" ..

هكذا كان دخول (ابن الخطاب) فى الإسلام بداية مرحلة
جديدة وخطيرة فى تاريخ الدعوة ..

لم يعد المسلمون يستخفون ومعهم نبيهم فى شعاب مكة
ليصلوا .. بل بدأوا - وأولهم عمر بن الخطاب - يجهرون
بإسلامهم .. حتى أنهم أصبحوا يصلون فى الكعبة على
مراى من أقطاب الكفر والشرك الذين أصبحوا يهابون
المسلمين و (عمر) معهم .. إلى جانب النبي عليه السلام ..

وقف (عمر ابن الخطاب) وزيراً .. ومستشاراً .. ومعاوناً ..
ومدافعاً عن الإسلام بالقول .. والقتل .. قرّبه النبي منه لما
رأى فيه التقوى ، وحسن الإيمان ، والذكاء وقوة الحجة
والتواضع ، والشجاعة في إبداء الرأي .. هذه الشجاعة
التي جعلته يناقش النبي في آرائه وي طرح عليه البدائل ..
هو شيء لم يكن يجزؤ عليه باقي الصحابة .. وكان هذا
يسعد النبي ونسره .. حتى أنه أخذ يراى عمر مرات كثيرة
لما لمس في رأيه حجة قوية ومنطقاً وعقلانية ..

ولما رحل النبي وجلس (أبو بكر) على مقعد الخلافة
اقتلى بمعلمه النبي رسول الإسلام ، واتخذ من (عمر بن
الخطاب) وزيراً أول له يستشير به ويستفتيه ..

ولم لا ؟ .. وقد كانت الخلافة قريبة منه يوم وفاء الرسول
عندما بسط (أبو بكر) إليه يده مبايعاً في السقيفة .. يومها
صاح (عمر) : بل إليك نبايع يا أبا بكر .. فأنت أفضل مني .
فقال أبو بكر "أنت أقوى مني يا عمر" ..

فرد (عمر) بتواضع الأتقياء : إن قوتي لك مع فضلك يا
أبا بكر ... وقد كان ..

وها هي ذي دورة الزمن تدور .. وها هو ذا (أبو بكر) يشعر بدنو أجله ... وها هي ذي أمة الإسلام أول شواغله فكان (عمر) هو أول الأسماء المطروحة لتحمل المسؤولية ويتقبل (عمر) الأمر كآرها .. فهو عازف عن الخلافية كآره للإمارة .. لكنه لا يملك أن يعتذر عن هذا التكليف ..

ويوم تولى هذه المسؤولية وقف خطيبا ...

"أيها الناس .. إني قد وليت عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم .. وأتواكم عليكم .. وأشدكم اضطلاعا بأموركم ما توليت ذلك منكم . ولكفى عمرًا انتظرُ الحساب" ...

هكذا لم تكن إمارة المسلمين عند عمر منصبا ولا جالعا ولا ثراء ولا سلطانا .. وكل ما كان يخشاه عمر هو (الحساب) .. فمذا لو ظلم أحد .. ماذا لو جاع أحد من رعاياه .. ماذا لو .. قل يوما لعبد الرحمن بن عوف :

"يا عبد الرحمن .. لقد كنت للناس حتى خشيت الله في اللين ، ثم اشتدحت حتى خشيت الله في الشدة ، وأيم الله لانا أشد منهم فرقا" وخوفا فإلين المخرج" ..

منه فرقا بين مرة ..

وظل يبكى ويتحجب حتى قل له (عبدُ الرحمن بنُ عوف): "أفَ لهم من بعليك" ...

وكان (ابنُ عوفٍ) يقصد أن الحكامَ الذين سيأتون بعد ابن الخطاب سيتعبون كثيرا ، فمن في مثل عدله وتقواه ، وصلاحه ، ونزاهته ، وصدقه ، وبره ، وإنسانيته .. كان الحكم عند (عمر بن الخطاب) مسئولية .. والمسئولية تعنى عنده القدوة ..

تلقى يوما هديةً من (عتبة بن فرقد) واليه على أذربيجان فسأل حاملها : ما هذا .. ؟ ..

- قال الرجل : " هي حلوى يصنعها أهلُ أذربيجان " .

فتذوقها عمر فوجد لها طعما شهيا .. ثم سأل الرجل :

- أكل المسلمون هناك يطعمون هذا ... ؟

فاجابه الرجل : لا .. إنما هو طعامُ الخاصة ..

فأعاد (عمر) لِقْءَ الهدية وردها للرجل وقال :

- أين بعيرُك؟؟ .. خذ هذا وارجع به (لعتبة) وأخبره أن

(عمر) يقول له : اتق الله وأشبع المسلمين مما تشبع منه ...

هذا هو (عمر) الذي رفع شعاراً يقول :

"بئس الوالى إن أنا طعمت طيبها ، وتركيت للناس عظامها" .

هكذا حرّم (عمر) على نفسه أكلَ طعام لا يأكله كلُ المسلمين .. وهكذا فعل مع أهله وأسرته .. فلم يكن يمنحهم امتيازاً .. ولا يخصصهم بخير .. وكانوا يعيشون فى مستوى أدنى من باقى المسلمين .. مخافة أن يقول الناس : خص (عمر) أهله بشيء دون غيرهم ...

خرج (عمر) يوماً إلى السوق يستطلع أحوال الناس فرأى بعض الإبل السمان المعروضة للبيع فسأل عن صاحبها ، وعرف أنها لابنه (عبد الله بن عمر) .. فأرسل إليه ليلاله .. فلجابه (عبد الله) بأن هذه الإبل كانت يومَ اشتراها إبلاً ضعيفةً لحيلةً ، فتعهدها بالرعاية والطعام حتى سمحت فعرضها للبيع ..

وخشى (عمر) أن تكون هذه الإبلُ مقلعةً فى الرعى والسقى لأنها إبلُ ابنِ أمير المؤمنين .. فأمر ابنه فباعها وأخذ راسماله ، ثم رد الربيع لبيت مال المسلمين ..

اتسعت دولة الإسلام في عهد (عمر) - والذي استمر ما يزيد على عشرة أعوام - فوصلت راية الإسلام إلى أفغانستان شرقاً - وضمت وسط آسيا والعراق والشام ومصر .. وكان ضرورياً أن يكلف ولاية يعاونونه وعملونه في هذه البلاد، فيجيئون الضرائب ويحكمون بين الناس، ويعلمونهم أمور دينهم .. وكان يعتبر نفسه مسئولاً عن أي خطأ يرتكبه أي من هؤلاء الولاة .. علم بها (عمر) أو لم يعلم، لهذا كان شديد الحذر في اختيارهم، يحاول أن يجد من يكون على مستواه في التقوى والحزم والرافة والخوف على الناس .. قال يوماً لأصحابه: "أرايتم إذا استعملت عليكم خيراً من أعلم، ثم أمرته بالعدل .. أيسرى ذلك فعنى ؟ ..."

قالوا: نعم ..

قل لم عمر: كلا .. حتى أنظر في عمله .. أعويل بما أمرته أم لا .. أيما عامل لي ظلم أحداً، وبلغتني مظلّمته فلم أغيرها فأنا ظلمته ..

لله درك يا (عمر) ... يا فاروق الإسلام .. أيها الحاكم

الذى لم ولن يجود الزمان بمثلك .. عادلا حكيما يختار من
أصحابه من يثق فى قوته وصلاحه وعدله وحكمته ورحمته
ليؤليه على الناس .. وكان ينهائهم عن أربع حتى يستقيم
لهم أمرهم ...

لا تركب دابةً مطهمةً .. لا تلبس ثوبا رقيقا .. لا تأكل
طعاما رافها .. لا تغلق بابك دون حوائج الناس ..

إذن هو يريدكم متواضعين متقشفين فتوعين يعيشون من
أجل الناس ولخدمة الناس ... فهو يريد هذا الوالى كما قل
يوما : "رجلا إذا كان فى القوم وليس أميرا لهم بدا وكأنه
أميرهم، وإذا كان فيهم وهو أميرهم بدا وكأنه واحد
منهم" ...

ولعل قصة (عمر بن الخطاب) مع المصرى الذى جاء
يشكو ابن الوالى (عمر بن العاص) لحيزر دليل على قوة
هذا الرجل.

فقد جاء مصرى إلى أمير المؤمنين عمر يشكو له (محمد
بن عمرو بن العاص) فقد فاز المصرى على ابن الوالى فى
سباق بينهما فما كان من (محمد) بن (عمر بن العاص)

إلا أن ضرب المصري بالسوط ، وهو يقول له : خذها وأنا ابن الأكرمين ..

فأرسل (عمر) يستدعي (عمر بن العاص) وولده ويعطي المصري سوطه .. ويقول له : اضرب ابن الأكرمين .. ويأخذ المصري السوطاً من يد (عمر) وينهل على (محمد) ضرباً و (عمر) يقول له : اضرب ابن الأكرمين .. ولما انتهى المصري .. قل له عمر :

اجعلها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك إلا بسلطانه واعتذر المصري .. لأنه ضرب من ضربه ... وهذا يكفيه .

فالتفت (عمر) إلى ابن العاص وقل : يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .. أليس هذا هو أول حق للإنسان في الحياة ... أن يكون الإنسان حراً .. اتسعت الإمبراطورية الإسلامية على يد ابن الخطاب فكان لا بد أن يؤسس (ديوانا) لضبط المال .. وكان أول من أحصى عند المسلمين كي يفرض لكل منهم عطاء يناسبه .. وكان لا بد أن يعين القضاة لفض المنازعات بين الناس .

وشعر (عمر) أن التاريخ لا بد وأن يسجل فتوحات

المسلمين وانتصاراتهم .. ورأى أن يكون هناك تاريخ إسلامي يبدأ مع بداية العام الذي هاجر فيه النبي عليه السلام من مكة إلى المدينة .. وهو التاريخ الذي نعرفه (بالحجري) ..

وهكذا أرسى (عمر) دعائم دولة قوية ووضع لها ركائز نموها وازدهارها ..

خرج (عمر) لحج بيت الله الحرام في العام الثالث والعشرين للهجرة .. وكان قد مضى عليه عشرة أعوام وهو أمير للمؤمنين .. لم يكن قد طعن في السن .. فعمره لم يكن قد تجاوز الأربع والستين .. لكن عبء المسؤولية كان قد أثقل كاهله ...

كان صباح يوم الأربعاء السادس والعشرين من ذي الحجة ، وقد وقف عمر في الخراب يصلي وإذا بشخص يتجه إليه وقد أخفى في طيات ثوبه شيئا . وما إن اقترب من (عمر) حتى أخرج خنجرًا ذا طرفين وطعنه به ثلاث طعنات ولاذ بالفرار .. وتصايح المسلمون وطاردوه فطعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة .. فألقى عليه (عبد الله بن

عوف) ثوبا فوق على الأرض ثم طعن نفسه طعنة قاتلة ..
لقد أدرك أنه مقتول مقتول ..

حمل ابن الخطب إلى بيته مضرجا بدمه .. وسأل عن
قاتله فقالوا له : هو أبو لؤلؤة وهو (فتى مجوسى الأصل) ..
غلام المقيرة بن شعبة .

فقال : الحمد لله الذى لم يجعل منى إلا على يد رجل
يدعى الإيمان ولم يسجد لله سجدة ..

هكذا كانت نهاية هذا الرجل العظيم الذى لم ولن يهود
الزمان بمثله أبدا .. بعد أن أوصى بأن يكون الأمر شورى
بين صحابة رسول الله .

ورفض أن يختار خليفة له .. فالأمر شورى بينهم ..